المـــــوت ...

حجة اللائحة الملزمة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس
للآنسة الفاضلة « الزهرة »

سيدي الأستاذ الجليل الزيات

هل كنت أريد مهادنة لوعتي التي أهاج معامعها مقالكم المؤثر البليغ بمناسبة الأربعين « في حزن الملك الطفل » حين لجأت إلى ديوان نفيس ، لشاعرتي العزيزة أيلا هويلر ولككس ، ساعة أن انتهى إلى العدد الأخير النفيس من « رسالتكم » الغالية ! ! وهل كانت للصادفة الرحيمة هي التي طالعتني لأول ما فتحت الديوان بهذه القصيدة وأجرت القلم بترجمتها في الحال ، وجاء مقابلة تلك الحسرات الصعبة التي ما برحت تغلب الجلد وتغذي الجزع ، حتى كادت تسد سبيل الصبر ، وتصرف عن مواطن الرشد ، وتذهل عن سنة الله في خلقه ، والدهر في أهله ، منذ مضى الملك الشهيد « غازي الأول » فرع الأرومة الزكية ، والقائم من منصب السؤدد في الذروة العلية ، ذاك الذي غادر قلب العروبة ينعي بهجته ، وجعل أمل الحامد يبكي بهجته . وكيف يعزى المصاب من لم يدع لهم الصرع الأليم والخسارة الفادحة فؤاداً يتجلد في وجه الشجون ، لندرة الرجال في هذا الشرق الجديب المحزون ! !

أقول هل كانت المصادفة العجيبة ، مهداً رحيماً لتماسك من الهزم في النفس لا من يأسي ، بل تذكرة نافعة تلجئ إلى الاقتناع بأن الأسوة في بعض الأمور قد تكون سبيلا إلى التأسي . . . إذا عجز العزاء وأعيا المعزي . . . على أنه سبحانه المسؤول أن يكتب لآلاف القلوب المكلومة عزاء جميلا ، وأجراً على الصبر جزيلا ، وأن يجزي بطول بقائكم دولة الفضل والكمال ، ويسكب على الفقيد الشاب المظلم سحائب الرحمة والرضوان بمنه وكرمه .

« الزهرة »

يقول الموت :

لِمَ ترتاع من إيذان قدومي ، وتنقبض من ارتقاب زورتي أيها الإنسان ؟ ولِمَ تهطع مستطيراً مروَّعاً حين آتي لأقبضك إلى رحمة الله وأنتقل بك إلى دار القرار ؟ لِمَ تفرّ من أمامي مشيحاً مستهلكاً ، وتتشبث بأذيال الحياة مُنازعتي الأذاة كالزجنة ، ورصيفتي السرّاجة الرّاجة !

ألستُ أفيئك ظلال السكون العميق وأقلبك بين أعطاف الدعة ، إذ أريحك من الشاق وأعفيك من الشقاء فلا تشغل ذرعك بمهمة ، ولا تنقل قدمك إلى دَرَك !

فلماذا تحاول أن تحاجزني عن ذاتك ، وتقيم بيني وبينك السدود ؟ لماذا تهضمني وتطلق لسانك في حرمتي وتعبث بكرامتي ! لماذا تسلط عليّ بأس لعنانك ، وتنزل بي أنكى نقماتك ؟!

وأنا — منذ خلقني الله قانوناً طبيعياً لا يدفعه دافع في هذا العالم وجعلني سنّة الخلق التي لا تبديل لها ولا تغيير لم أجرّ على أحد مضرّة ولم أمسّه بأذى ، بل أسَوْتُ كل جرح ونشّه بالبلسم الشافي ، وضمدت كل قرح وأنضجته بالمسخن الوافي

وظللتُ هذه الدنيا بستر راحتي الأبدية ، إذ ضربت لها خيمة الطمأنينة الدائمة ، وأوجدت لها ملجأ الغبطة القائمة ، لكي تأوي إليهما مما يندلع عليها باستمرار من نيران خطوبها اللاحقة ، ومصائبها اللاذعة ، وهمومها الجائحة ، وأطماعها الهائجة ، ووساوسها المائجة ، وألاعيبها المفترسة ، وغواياتها المترامية ، وزخارفها المتراصفة ، وأحوالها المتقاذفة .

وتلك التضرعات العارضة التي طالما خرجت من أفواه ظمأى تلتمس الرحمة للنفس والعزاء فما ابتلّت لهاتها بباطل ، ولا حليت بتافه .. بل تلك الاستعطافات التي طالما صعدتها قلوب جياشة باستغاثات تتفطر لها المرائر ، ولكنها لم تصب مسارعة ، لأن الحياة ولتها من قلبها جانباً صلباً ، وأولتها من إعراضها نكيراً وكرباً .

لقد سوّغتها أنا واستجبتها وألقيت عليها رحمتي ، ومددت لها أكناف مرحمتي ...

فهلاّ علمت أن عديلتي القاسية وقسيمتي الجافية هي التي تقلبك في ردغة الخبال وحمأة النكال ، وتقصم ظهرك بوقر العقاب ، وتسوقك كل يوم بسوط العذاب ، وتخدعك بمقد يسبقه الانحلال والنصب ، وتحطمك بزوال لا تتوقعه عن حجْر النعمة ، وصراع يأخذ عليك سبل الهناء ، وكفاح يدفعك عن مناهل الرجاء ، وإعنات للنفس بما تعلم أن غايتك فيه اللغو والفشل ، وحملها على الجهد في مطالب لا يصحب جهدك فيها أمل

هلاّ علمتَ أن شوكتي هي أعظم شوكة في الوجود ، لأني آخر أعمال الحياة في الوجود . فعلام تتمسك بعروتها ، وإلام تسكن إليها ، ولِمَ تصارمني إذاً وتقلب لي ظهر المجن ؟ « الزهرة »

الافصاح في فقه اللغة

معجم عربي : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب ، ثمنه ٢٠ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدي